*طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم 3*

*بحث فى مقاصد الشريعة*

*إعداد أ/ منى حسن صابر*

*قسم الفقه وأصوله*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*mona.hassan@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم**

**الكلمات المفتاحية : العقل، الإنسان ،الشرع**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن طرق المحافظة على العقل من جانب الوجود ومن جانب العدم**

1. **عنوان المقال**

**الوحي عند علماء الشرع:**

**الوحي عند علماء الشرع، ينقسم إلى ثلاثة أقسام:**

**الأول: ما حصل بلسان الملك فوقع في سمعه بعد علمه بالمُبلّغ بآية قاطعة، والقرآن الكريم من هذا القبيل.**

**والثاني: ما وضح بإشارة الملك من غير بيانٍ بالكلام.**

**والثالث: بإلهام الله تعالى بأن أراه بنوره من عنده.**

**والذين يرون الاجتهاد للأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- من علماء الأصول، جعلوه قسمًا رابعًا وسموه وحيًا خفيًّا، والأقسام الثلاثة الأول وحيًّا ظاهرًا، وقد عرفه بعض العلماء، بأنه إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكمٍ شرعيٍّ ونحوه، وعرّفه بعضٌ آخر بأنه عرفانٌ يجد الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله تعالى بواسطة أو بغير واسطة، والأول بصوتٍ يتمثل بسمعه أو بغير صوت، وهذا التعريف يشمل الأقسام الثلاثة، ووحي الله تعالى إلى أنبيائه قد روعي فيه المعنيان الأصليان لهذه المادة "وحي"، وهما الخفاء والسرعة، فهذا معنى المصدر، ويطلق على متعلقه، وهو ما وقع به الوحي، أي: الموحى به اسم مفعول، وهو ما أنزله الله تعالى على أنبيائه وعرّفهم به من أنباء الغيب والحكم، ومنهم من أعطاه كتابًا -أي: تشريعًا- يكتب ومنهم من لم يعطه.**

**وقد خص الله تعالى بالوحي من اصطفاهم من البشر، وفضلهم بخطابه، وفطرهم على معرفته، وجعلهم وسائل بينه وبين عباده يعرفونهم بمصالحهم، ويحرضونهم على هدايتهم، ويدلونهم على طريق النجاة، وكان فيما يلقيه عليهم من المعارف ويظهره على ألسنتهم من الخوارق، وأخبار الكائنات المغيبة عن البشر، التي لا سبيلَ إلى معرفتها إلا من الله تعالى بواسطتهم، ولا يعلمونها إلا بتعليم الله إياهم، وجُعِلَ لهؤلاء علامات يعرفون بها.**

**مقصودنا بالوحي في هذا المقام:**

**وإنما قصدنا من الوحي، الموحى به، بمعنى اسم المفعول، والموحى به إلى الأنبياء، هو كلام الله تعالى، وهو عندنا يتمثل في جميع الكتب السماوية الصحيحة، وعلى رأسها القرآن الكريم، ومن ذلك السُّنة الشريفة؛ لأنها وحيٌّ أيضًا؛ لقوله تعالى:** {ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ} **[النجم: 3، 4]، فالوحي المباشر هو القرآن، وغير المباشر هو السُّنة، وكلاهما يسمى عند علماء الإسلام المنقول؛ ولذلك يجعلونه في مقابلة المعقول، فالوحي هو الخبر الصادق، أي: المخبر به قرآنًا وسُنة، وعندما نقول: الوحي، نقصد الخبر الصادق المنقول عن الله تعالى عن طريق الرسل.**

**التعليم من وسائل المحافظة على العقل:**

**يعتبر التعليم من وسائل المحافظة على العقل من جانب الوجود، وقد قلنا من قبل: إن الله تعالى كرم الإنسان وفضله على كثيرٍ من مخلوقاته.**

**لقد جعل الله تعالى التعليم من الأمور المطلوبة من كل رجلٍ وامرأة، وجعل العلماء أفضل من الجهلاء، وحث على طلب العلم، وفائدة التعليم هي تمرين العقل على إدراك الحقائق وعمقها؛ لأن التعليم عبارةٌ عن نقل خبرات السابقين وأخبارهم وقصص حياتهم، ومن ذلك تؤخذ المعارف والعبر، فالعقل البشري كما يحتاج في نموه وبقائه إلى الغذاء، فإنه يحتاج أيضًا إلى العلم والمعرفة، وهو كالمرآة كلما زاد الاهتمام بها وبتنظيفها من الغبار والأدران، كانت أحسن حالًا في تأدية وظيفتها المطلوبة منها كما ينبغي.**

**فالتعليم مهمته صقل العقل وتمرينه على سرعة الإدراك، وربط الأسباب بالمسببات والعلل بالمعلولات، وبذلك يكون إدراكه دقيقًا وعميقًا، وهذا من الأمور الواضحة، والفرق ظاهر بين من له علم بأسباب الظواهر الكونية والجاهل بها، وذلك كما في ظواهر الرعد والبرق والخسوف والكسوف، ونسبة لقيمة التعليم وأثره في تقويم العقول حرص الإسلام على أن يجعله فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولو كان بأبعد البلدان عن بلاد الإسلام، وجعله ضالة المؤمن أنى وجدها أخذها، ولم يربطه بلقمة العيش ولا بطلب الجاه والسلطان، وإنما لتحرير عقل الإنسان من ظلمات الجهل والخرافة والأوهام؛ ليكون العقل البشري حرًّا طليقًا، يسبح في ملكوت السماوات والأرض في عالم الشهادة أو عالم الغيب، بإرشاد الوحي وهدايته.**

**ضرورة التعليم وأهدافه:**

**لقد اتفقت كلمة العلماء على أن التعليم ضروريٌّ لجميع الناس، وأن التعليم له أهداف، ومن هؤلاء العلماء الإمام القابسي، والغزالي، فهؤلاء لهم اهتمام عظيمٌ بالتربية والتعليم، فنعرض جوانب من آرائهما في التعليم:**

**ذهب القابسي في كتابه (الرسالة المفصلة لأحوال المتعلمين وأحكام المعلمين والمتعلمين)، إلى أن التعليم لا بد منه لجميع أبناء المسلمين، لا فرق بين أبناء الفقراء والأغنياء، وأن أئمة المسلمين في صدر هذه الأمة ما منهم إلا من قد نظر في جميع أمور المسلمين بما يصلحهم في الخاصة والعامة، ومع ذلك قال القابسي: لم يبلغنا أن أحدًا منهم أقام معلمين يعلمون للناس أبناءهم من صغرهم في الكتاتيب، ويجعلون لهم ذلك نصيبًا من مال الله  كما صنعوا مع من كلفوه القيام للمسلمين في النظر بينهم في أحكامهم والآذان لصلاتهم في مساجدهم، مع سائر ما جعلوه حفظًا للمسلمين وحيطة عليهم، فهل هذا غفلةٌ من أئمة المسلمين أو نسيانٌ منهم لأمر لا بد منه؟**

**نجيب على ذلك: بأن ذلك ليس غفلة أو نسيانًا منهم، بل لأنهم رأوا أنه شيء يختص أمره كل إنسانٍ في نفسه إذا كان ما يعلمه المرء لولده، فهو من صلاح نفسه المختص به، فأبقوه عملًا من أعمال الآباء لا ينبغي أن يحمله عنهم غيرهم إذا كانوا مطيقيه، وإذا كان أئمة المسلمين تركوا النظر في أمر تعليم أولاد المسلمين لآبائهم، وكان ممّا لا بد منه للمسلمين أن يفعلوه في أولادهم، ولا تطيب أنفسهم إلا على ذلك، واتخذوا لأولادهم معلمًا يختص بهم ويداومهم ويرعاهم حسب ما يرعى المعلم صبيانه، ومن المستبعد أن يوجد من الناس من يتطوع للمسلمين فيعلم لهم أولادهم، ويحبس نفسه عليهم ويترك التماس معايشه وتصرفه في مكاسبه وفي سائر حاجياته.**

**ولذلك يرى القابسي، أنه يصح للمسلمين أن يستأجروا من يكفيهم تعليم أولادهم ويلازمهم لهم، ويكتفي بذلك عن تشاغله بغيره، ويكون هذا المعلم قد حمل عن آباء الصبيان مؤنة تأديبهم، ويبصرهم استقامة أحوالهم، وما ينمى لهم من الخير في أفهامهم، ويبعد عن الشر مآلهم، وهذه عناية لا يكثر المتطوعين بها، ولو انتظر من يتطوع معالجة تعليم الصبيان القرآن لضاع كثيرٌ من الصبيان، ولما تعلم القرآن كثيرٌ من الناس، فتكون هي الضرورة القائدة إلى السكوت في فقد القرآن من الصدور، فتعليم الأولاد لا بد منه، ومسئولية ذلك تقع على الآباء.**

**أما الإمام الغزالي: فقد ذهب إلى أن العلم أفضل الأمور، وأن تعلمه طلبًا للأفضل، وأن تعليمه إفادة للأفضل، ويوضح هذا بأن مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا، ولا نظام للدين إلا بنظام الدنيا، فإن الدنيا مزرعة للآخرة، وهي آلته الموصلة إلى الله لمن اتخذها آلة وممرًا، ولم يتخذها وطنًا ومستقرًا، وليس يُنتظم أمر الدنيا إلا بأعمال الآدميين وأعمالهم، وصناعتهم تنحصر في ثلاثة أقسام:**

**القسم الأول: أصولٌ لا قوام للعالم بدونها وهي أربعة:**

* **الزراعة وهي للمطعم.**
* **والحياكة وهي للملبس.**
* **والبناء وهو للمسكن.**
* **والسياسة وهي للتأليف والاجتماع والتعاون على أسباب المعيشة وضبطها.**

**القسم الثاني: ما هي مهيأة لكل واحدةٍ من هذه الصناعات وخادمة لها، كالحدادة فإنها تخدم الزراعة، وجملة من الصناعات بإعداد آلتها، وكالحلاجة والغزل، فإنها تخدم الحياكة بإعداد محلها**

**المراجع والمصادر**

1. **الريسوني، أحمد الريسوني، (نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
2. **ابن عاشور، محمد الطاهر ابن عاشور، (مقاصد الشريعة الإسلامية) ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، 2005م**
3. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، هيرندن –فيرجينيا، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1991م**
4. **الجندي، سميح الجندي، (أهمية المقاصد في الشريعة الإسلامية وآثارها في فهم النص واستنباط الحكم) ، دار الإيمان للطبع والنشر والتوزيع، 2003م**
5. **عطية، جمال الدين عطية، (النَّظرية العامة للشريعة الإسلامية) ، القاهرة، مطبعة المدينة، 1988م**
6. **الحسني، إسماعيل الحسني، (نظرية المقاصد عند ابن عاشور) ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، 1995م**
7. **عبد الخالق، عبد الرحمن عبد الخالق، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، مكتبة الصحوة الإسلامية، 1985م**
8. **الفاسي، علال الفاسي، (مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها) ، دار الغرب الإسلامي، 1993م**
9. **الصدي، محمد علي الصدي، (مقاصد الشارع الضرورية دراسة تأصيلية) ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، 2004م**
10. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية: تعريفها، أمثلتها، حجتها) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**
11. **الزحيلي، محمد الزحيلي، (مقاصد الشريعة) ، دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع، 1998م**
12. **العالم، يوسف حامد العالم، (المقاصد العامة للشريعة الإسلامية) ، الدار العالمية للكتاب الإسلامية، 1994م**
13. **الخادمي، نور الدين مختار الخادمي، (المقاصد الشرعية وصلتها بالأدلة الشرعية وبعض المصطلحات الأصولية) ، دار إشبيليا للنشر والتوزيع، 2003م**